

## عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(74) الرسل، وأدركوه بمشاعرهم وعقولهم مثل سائر الطنون التي تحرق بالقلوب البشرية وتنقذ فيها. مع أن المراد غير ذلك، بل المراد أن الظروف التي حاق بالرسول بلغت من الشدة والقسوة إلى حد صارت تحكي بلسانها التكويني عن أن النصر الموعود كأنه نصر غير صادق، لا أن هذا الظن كان يراود قلوب الرسل، وأفئدتهم، وكم فرق بين كونهم ظانين بكون الوعد الإلهي بالنصر وعداً مكذوباً، وبين كون الظروف والشرائط المحيطة بهم من المحنة والشدة كانت كأنها تشهد في بادئ النظر على أن ليس لوعده سبحانه خير ولا أثر. فحكاية وضعهم والملابس التي كانت تحرق بهم عن كون الوعد كذباً أمر، وكون الأنبياء قد وقعوا فريسة ذلك الظن غير الصالح أمر آخر، والمخالف للعصمة هو الثاني لا الأول، ولذلك نظائر في الذكر الحكيم. منها قوله سبحانه: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَنْقُذَهُ إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَّا لَنِغْتَابُ بِهُ) (1) فإن يونس النبي بن متى كان مبعوثاً إلى أهل نينوى، فدعاهم فلم يؤمنوا، فسأل أن يعذبهم، فلمّا أشرف عليهم العذاب تابوا وآمنوا، فكشفه عنهم وفارقهم يونس قبل نزول العذاب مغاضباً لقومه ظانناً بأنّه سبحانه لن يضيق عليه وهو يفوته بالابتعاد منه فلا يقوى على سياسته وتأديبه، لاجل مفارقتهم مع إمكان رجوعهم إلى الله سبحانه وإيمانهم به وتوبتهم عن أعمالهم. فما هذا الظن الذي ينسبه سبحانه إلى يونس، هل كان ظناً قائماً بمشاعره، فنحن نجلّه ونجلّ ساحة جميع الأنبياء عن هذا الظن الذي لا يتردد في ذهن غيرهم، فكيف الأنبياء؟! بل المراد أن عمله هذا (أي ذهابه ومفارقة قومه) كان \_\_\_\_\_ 1 . الأنبياء: 87.